

الرَّسَالَة ١١٦

أوليسَت المسيحيَّة للضعفاء عكازاً؟

(Arabic - Isn't Christianity a crutch for weak people?)

- حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي .
سؤال هذه الحلقة : أوليسَت المسيحيَّة للضعفاء عكازاً؟
يجيبنا على هذا السؤال : Cliffe Knechtle
في كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية .

بادرتني إحدى السيدات بجامعة كاليفورنيا في Northridge بهذا السؤال: أوليسَت المسيحيَّة مجردَ عكاز سيكولوجي يلجأ إليه المسيحيون من تأثير الخوف والجهل الذي يُعاني بعضهم منه؟. أوليسَ لأنكم ضعفاء وتعيشون في رُعب لذلك فاذكم خيالكم لتصور وجود أب في السماء يوفر لكم ما تحتاجون إليه من الأمن والأمان؟. أما عن نفسي فأنا في غنى عن هذا الوهم الذي تعيشون فيه. واتخذتموه عكازاً عليه تتعززون!.

إنّ هذا الموقف الغريب من تلك السيدة تجاه الدين بوجه عام والمسيحيَّة بنوع خاص أمرٌ عادى في عالمنا الحديث نواجهه من كثيرين.. ولدينا العديد من الأجوبة على ما يدعون من ادعاءات يقصدون منها الهروب من مواجهة الاختبارات العملية التي يختبرها المؤمن الحقيقي في حياته والحرية التي يتمتع بها بعد تسليم حياته للسيد المسيح الذي يحرر من مغريات العالم الشرير وإدمان الخمور والمخدرات والشهوات الجنسية ومن خداع إبليس وأكاذيبه. ولا يجد غير المؤمن تعليلاً للحرية الحقيقية في المسيحيَّة غير الإساءة بتلك الادعاءات الباطلة.

أولاً: إن يسوع المسيح يحثّ تابعيه على لزوم ترك أساليبهم القديمة.. التي كانوا مرتبكين بها في سابق عهدهم ويدعوهم إلى أن يرتبطوا بالمحبة ويتمسكوا بالحق والعدل.. ويقفوا صامدين إلى جانب الكرامة وطهارة السلوك.. ويقاوموا الأكاذيب وأنصاف الحقائق.. ويستكروا ما يدور حولهم من إذلال الانسان لأخيه الإنسان.. والاستغلال الذي يحط بالكرامة الإنسانية.

إنّ وجود كثيرين اتخذوا المسيحيَّة عكازاً ليتراءوا بانتسابهم إليها أمام الآخرين حقيقة لا ننكرها.. فهؤلاء يستخدمونها كما يستخدم الناس الأقراص المسكنة لتهدئة اضطرابهم النفسي إذا واجهتهم مشكلة.. هؤلاء الناس ينسبون أنفسهم للمسيحيَّة ويتخذونها كعقيدة دون اختبار لقوتها المغيرة.. يلوذون بها إذا انتابهم قلق أو خوف من الموت وما بعد الموت.. وانتمأؤهم إلى المسيحيَّة يعطيهم ارتياحاً نفسياً مؤقتاً.. لقد فهموا المسيحيَّة فهماً خاطئاً.

ولكن من الجانب الآخر لا ننكر أنّ البشر يستخدمون عكازين مختلفين يستندون عليها. فبعضهم يتخذون المادّية عكازاً وينفقون العمر في جمع أكبر قدر من المال ليكونوا أغنياء. وبعض يتخذون الشهوات العالمية عكازاً وهدفهم هو الحصول على أقصى لذة ومتعة.. وبعض آخر يستندون على عكاز النرجسية ويعيشون لتحقيق لذاتهم ومآربهم الخاصة. وبعض الناس عكازهم المهنة فهي شغلهم الشاغل يكرسون لها فكرهم ووقتهم وكل حياتهم.^١

هذه العكازين يتخذها الناس للهروب من مواجهة الحقيقة لوجود فراغ في القلب.. أما إذا قبلنا السيد المسيح ليمتلك حياتنا وتوجّاه بارادتنا ملكاً علينا سنجدّه يقذف بعكازنا بعيداً.. ويوجّهنا لنعيش لهدف أعظم بدل الانشغال بأمور العالم الشرير.. ويحثنا كي نعيش لخدمة الإله الذي خلقنا.. ويشجعنا لنمد يد العون لإخوة لنا في الإنسانية يعيشون معذبين لا يجدون يداً تعينهم لحل مشاكلهم.. ولكن إذا رفضنا شخصه وارتكنا على واحدة من أنواع تلك العكازين السالف ذكرها ابتعدنا عن الغرض الأساسي الذي كان من الأوصوب أن نعيش لأجله.. إن

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ٩ - ١٠ ، استمع إلى الإنجيل

المسيحية لا تجيز للمسيحي أن يتوارى خلف عكايز.. إن السيد المسيح لا يقبل منا إلا أن نواجه الحياة على حقيقتها.. كما أنه يهب القوة لتغلب على ما يواجهنا من مشاكل.

ثانياً: إن تبعتنا للسيد المسيح باعتباره عكازاً نتوارى خلفه يشوه الصورة الحقيقية للمسيحية.. إن المسيح ليس وهماً أو خيالاً كما يتصورون.. إنه ابن الله الذي ظهر في الجسد.. عاش على الأرض وجال يصنع خيراً.. شفى مرضى وأقام موتى.. ثم مات وقام من الأموات.. عاش حياة الكمال وقدم تعاليمه للأخريين كي يسيروا على منواله ويعيشون كمثاله.. والسؤال الرئيسي الذي يتحتم علينا إجابته هو: هل قبلنا شخصه المبارك على أنه الحق كما قال عن نفسه؟ فباعترافنا أنه الحق نكون مسيحيين حقيقيين وبغير ذلك لسنا كذلك.

ثالثاً: ليس الأب السماوي كما يدعى بعضهم تصوراً فادنا إليه خيالنا ليسد احتياجاً سيكولوجياً فينا.. لقد أعلن السيد المسيح عن محبة الأب السماوي لنا وأنه متكفل بأعواننا الحقيقية.. أما الراضون لأسباب سيكولوجية تمنعهم من وضع تقنهم في الله كأب يُشبع احتياج أولاده.. فننصحهم بالقول: ليس هذا سبباً مقبولاً أن نرفض الله لأنه يُشبع احتياج أولاده والعكس صحيح.. سيكون أمراً غريباً إن لم يملأ الله هذا الاحتياج.. والأهم ألا نهرب من مواجهة يسوع المسيح الذي جاءنا منذ الفى عام وأعلن عن ذاته أنه الإله الأزلى الأبدى.. فهل هو صادقٌ وجديرٌ بالثقة فيه ليتخذ المحتاج سندا.. أم كاذبٌ ويتخذونه بهجلاً عكازاً.. ليتنا نجيب بأمانة ونكون مخلصين لنفوسنا الثمينة والعزيرة على قلب الرب الذى أحبنا وافتدانا.. ليتنا نكون صادقين حتى لا نندم حيث لا ينفع الندم.^١

رابعاً: حين كنتُ في فريق كرة السلة في الكلية.. كان بعض زملائي في الفريق يحدث لهم إصابات في الركبة. لذا كانوا يضعونها في جبائر وكانوا يستخدمون عكايز يستندون عليها فهل يظن أحد أنه كان لزاماً أن نزيل هذه العكايز من تحت أزرعهم؟.. بكل تأكيد لا وبالتالي أقول إننا كبشر اخترنا الضغوط النفسية كم هي قاسية وعرفنا الوحدة والفراغ والأحزان والتجارب المضنية.. ومحاولة الهروب منها أمرٌ مستحيل لأنه تضليلٌ ومغالطة وتجاهل للواقع.. فاذا قدم أحدٌ فينا علاجاً بعد اختبار هل نرفضه بحجة أنه علاجٌ يبدو لنا سخيلاً؟.

إن يسوع المسيح يدعونا لنبدأ علاقة صحيحة مع الإله الحى القادر أن يملأ كل احتياج حقيقى يعوزنا. إن الإله الذى يقدم لنا محبة بلا شروط وقادرٌ أن يملأ قلوبنا المضطربة بالسلام الحقيقى والفرح الدائم.. من البديهي أن نرفض علاجاً زائفاً يأتي بنا إلى حال أردأ.. ولكن يسوع المسيح هو المعالج الحقيقى للداء الذى لا نجد له دواء.. فهل نختار علاجه؟.. ليس حسناً أن نسأل ستاراً على حاجاتنا الأساسية ونلوذ بالفرار من مواجهتها.. ليتنا نتخذ الرب يسوع رفيقاً لحياتنا في أرض الغربة.. فهو مريحٌ التعابى والضامن الوحيد للحياة الأبدية السعيدة.. لقد قال: تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.. فهل نأتى إليه؟.^٢

عزيزى القارئ.. إن اعترفنا بضعفائنا للإله القدير سيقوينا. فلماذا نرتكن على عكايز العالم الضعيفة؟. ليتنا نلقيها جانباً ونفتح قلوبنا لروح الله ليسكن فيها. سيرشدنا إلى الحياة الأفضل ويؤهلنا لخدمة ناجحة. ويجعلنا قادرين على تقديم الأخبار السارة لكل بعيدٍ ضال.

أدعوك أختي لتتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أشكرك من أعماق قلبى فأنت صخرة خلاصى وقوتى وملادى.^٣ هبنى نعمة لأطرح بعيداً عكايز العالم وأستند عليك.. فبدونك لا أستطيع أن أفعل شيئاً ولكي بعونك أقول مع بولس الرسول ما قاله في رسالته إلى مؤمنى فيلبى: أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى^٤.. أرفع صلاتى فى اسم يسوع واتقاً من استجابتك يا من وعدت بقولك: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أختي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإن أردت سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knechtle ستجد ذلك فى:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

^١ إنجيل يوحنا ١٦: ٣٣

^٢ إنجيل متى ١١: ٢٨

^٣ سفر المزمير ٧١: ٣

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤: ١٣